السياق وأثره في دلالة المفردة القرآنية عند ابن قتيبة

من خلال كتابه تأويل مشكل القرآن

د. عبد السلام إدريس سويسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على من اصطفى وبعد، فمن الأعلام الذين تسنموا ذروة العطاء الفكري فاستحق الإعجاب، وجدُر بالإعظام، وقمُن بالتبجيل والترحاب، قضى حياته مجاهداً في سبيل إعزاز الإسلام ولغته والتمكين لهما، ذلك ما تفصح عنه مؤلَّفاته الجمة الرصينة التي لم تَخلَق بمرور الأيام، ولم تبلَ على كر الزمان، أنه العلامة ابن قتيبة الذي يعد دائرة معارف شاملة تمثل أرقى ما وصل إليه الفكر الإسلامي في القرن الثالث الهجري؛ فقد تجاوزت مؤلَّفاته الستين مؤلَّفاً تنوعت حقولها الدينية واللغوية والأدبية وغيرها ما يدل على رقي فكرة، واتساع علمه، وبعد نظره وموسوعيته .

من مؤلفاته القيمة كتاب تأويل مشكل القرآن الذي انبرى فيه بالدفاع عن القرآن الكريم، حيث هاله ما رأى من كثرة الشكوك التي تثار حول القرآن الكريم والمطاعن التي تسدد نحوه، فخشي أن تكون عاقبتها خسراً للأغمار والأحداث فانتدب نفسه لدرئها، وتبيين عِوجها، ورد كيدها إلى نحور أصحابها، وقد أعانه على ذلك امتلاكه لزمام البيان المشرق الرصين.

لقد تضمن هذا المؤلف القيم باباً اصطلح على تسميته (باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة) أي: بأن تكون الكلمة الواحدة وردت في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد وأريد بكل كلمة معنى غير المعني الآخر، أي: أن تؤدي اللفظة الواحدة دلالات مختلفة يرجع تنوعها الدلالي إلى السياق الذي تظل له أهميته ومكانته في تدبر القرآن الكريم، تفسيراً وتبياناً لدلالاته ويعد أعظم الطرق الموصلة للفهم الصحيح، خاصة في هذا المؤلَّف القيم (تأويل مشكل القرآن) الذي ضم بين دفتيه مادة لغوية دلالية

ثرية تغري بالوقوف عليها واستكناه أسرارها. أما مشكلة البحث فتكمن في تعدد دلالات المفردة القرآنية الواحدة التي تتصرف وجوهها الدلالية تنوعا وتعددا قد يفضي إلى الغموض واللبس الذي تأباه لغة القرآن الكريم، لكن هذا اللبس سرعان ما يتبدد وتنجلي غيومه بالسياق الكفيل بتحديد دلالة المفردة القرآنية تحديدا دقيقا.

يظل هدف هذا البحث إبراز دور السياق في فهم المفردة القرآنية وتحديد دلالاتها، فالسياق يشكل قرينة تكشف عن الوجه المراد من المفردة، إذ يقوم بعملية ترشيح دلالي للاكتناز المعنوي الموجود في المفردة الواحدة، وتثبيت دلالة واحدة مقصودة كما يعمل أداة تعريفية بدقة الفارق المعنوي بين المفردات المتناظرة من حيث الدلالة.

إن هذا البحث يحاول إماطة اللثام عن دور السياق وأثره في دلالة المفردة القرآنية من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية:

ما أثر السياق اللغوي ودوره في دلالة المفردة القرآنية عند ابن قتيبة من خلال كتابه تأويل مشكل القرآن؟ وهل وظفه ابن قتيبة توظيفا أمثل في ضبط دلالة المفردة القرآنية؟

_أما بخصوص الدراسات السابقة فقد وردت بعض الدراسات التي تناولت السياق القرآني، منها "السياق القرآني وأثره في التفسير"، للدكتور أحمد ماهر سعيد نصر، مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات، "المشترك اللفظي في ضوء غريب القرآن الكريم"، للدكتور عبد العال سالم مكرم، أستاذ النحو العربي، جامعة الكويت.

هذه الورقة البحثية توخت المنهج الوصفي التحليلي، وابتنت ركائزها على مقدمة بينت أهمية الموضوع، والهدف من الدراسة، وإشكاليات البحث، والدراسات السابقة، وهيكلية البحث التي جاءت في

مطلبين، رصد المطلب الأول حياة المؤلِّف العلمية، والتعريف بكتابه الذي في رحاب أحد أبوابه بسقت هذه الدراسة حتى استوت على سوقها، في حين تناول المطلب الثاني السياق: تعريفه وأنواعه وأهميته، مع تحليل ودراسة لبعض المفردات القرآنية التي تجلى فيها دور السياق اللغوي وأثره في دلالاتها من خلال علاقتها مع ما قبلها وما بعدها من الآيات، وما يكسبه من معنى في هذا الموضع، أو في موضع آخر، وسبب النزول والجو العام الذي نزلت فيه فالنص القرآني يعد نصا متماسكا مترابطا يفسر بعضه بعضاً .

أما الخاتمة فقد أبانت عن نتائج الدراسة في إيجاز، وذيّل البحث بفهرس للمصادر والمراجع التي استقى منها مادته العلمية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المطلب الأول: التعريف بابن قتيبة ومؤلَّفه كتاب مشكل القرآن

أولاً: التعريف بابن قتيبة

اسمه ومولده

اسمه عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم، ويقال له القتبي أو القيبي نسبة إلى جده، ويقال له الدينوري نسبة إلى الدينور التي قام بها قاضيا في وزارة عبد الله بن خاقان، وقد اختلف في مولده، فقال ابن الأنباري وابن النديم وابن الأثير أنه ولد بالكوفة، وقال آخرون منهم السمعاني والقفطي أن مولده كان ببغداد سنة 213هجرية وقد أقام بالدينور مدة ولايته للقضاء، فنسب إليها كما نسب إلى المِروزي أيضاً. (ينظر حاجي خليفة كشف الظنون 5/ 441 الأعلام الزركلي 4/ 137).

نشأته

نشأ ابن قتيبة في بغداد، وتثقف على أهلها، وأخذ العلم عن رجالها، وقد كانت بغداد آنذاك مهد العلم ومنتدى الأدب، ما جعل لهذه البيئة العلمية أثرا طيبا على شخصيته، ففي العصر العباسي كان

العلم والتطور في أوج قمته، فجمع الحسنيين وأعطي المزية في كلا العلمين والفنين، علم الدين وعلم العربية، فضلاً عما شهدته بغداد آنذاك من امتزاج فكري وحضاري (ينظر المصادر السابقة الموضع نفسه)

شيوخه

وفي هذه البيئة العلمية الفكرية أكبَّ ابن قتيبة على الدرس، وجدَّ في التحصيل على علماء الحديث وأئمة اللغة وشيوخ الأدب منهم الزيادي وهو إبراهيم بن سفيان ابن سليمان الذي تتلمذ على سيبويه وأبو عبيدة والأصمعي، ومن شيوخه ابن راهويه وهو أحد أئمة الإسلام، وابن حاتم السجستاني الذي كان أعلم الناس بالعروض، والرياشي، وعبد الرحمن بن عبد الله أخو الأصمعي، ومن شيوخه حرملة بن عبد الله وهو من أكابر العلماء، وكذلك أبي الخطاب زياد بن يحيى بن زياد السجستاني البصري، فهذه مدرسة ابن قتيبة التي منها نهل، وكون منها حصيلته العلمية التي تنوعت أفكارها وامتزجت رؤاها من بصرية وكوفية فضلا عن سعة اطلاعه وتحصيله للعلوم جعله متزن الطرح حتى تراه لا ينحاز إلى أي مدرسة، فهو يشفع الاختلاف بالائتلاف ليميز الحق فيه (ينظر الأزهري تهذيب اللغة 1/ 15- القفطي إنباء الرواة 3/ 143)

تلاميذه

إن هذا التحصيل العلمي جعل منه إماما في الفقه والحديث واللغة، أهّله ليكون أستاذا وشيخا وعالما بحق، يختلف إليه الطلاب لينهلوا العلم من هذا البحر الذي يعد مدرسة في العلم تأصيلا وتفصيلا، يمم طلاب العلم وجوههم شطرها؛ لذا تتلمذ عليه يديه كثيرون منهم ابنه أحمد الذي ترجم له القاضي عياض في كتابه المدارك، وأحمد بن مروان المالكي، وأبو القاسم الصائغ وقاسم بن أصبغ الأندلسي وغيره كثيرون، خاصة أن ابن قتيبة كان كريماً بعلمه، سمحاً في إقراء كتبه، لم يؤثر عنه أنها حبسها

عن طلابها حتى يقبض أجرها كما أُثِر عن غيره الذين لا يدرسون إلا بأجر.

مؤلَّفاته

لقد أسهمت موسوعية ابن قتيبة العلمية الجمة المعارف الغزيرة الثقافة فضلا عما أوتيه من عقل مركز، وذهن ناقد، وذوق مصفى في تمكينه من تأليف مصنفات امتازت بالأصالة والجدة والدقة وحسن الترتيب والتنظيم؛ لذا لا غرو أن تبلغ عدتها فيما يقول أبو العلاء المعري خمسة وستين مصنفاً، ذكر منها صاحب كتاب تحقيق مشكل القرآن ستة وأربعين مؤلفا تنوعت في حقول المعرفة الإنسانية في القرآن والشريعة والحديث والأدب واللغة والفلك والأنواء والأخبار ما ينم عن موسوعيته المعرفية واتساع مداركه ونضج موهبته.

وفاته

بعد عمر طويل قضاه في التدريس والتصنيف، ألقى ابن قتيبة –رحمه الله وطيب ثراه– عصا التسيار، وانتقل إلى رحمة الله في ذي القعدة سنة 276 هجرية، –رحمه الله رحمة واسعة–.

ثانياً– التعريف بـ(تأويل مشكل القرآن)

يعد هذا الكتاب من أنفس الكتب في الرد على ما أثاره الملحدون والزنادقة في الطعن فضلا عن اشتماله على أشياء مشكلة، انبرى ابن قتيبة لعرضها والرد العلمي عليها مؤيدا أقواله بالأدلة النقلية والعقلية، ويبدو أن الغرض من تأليف هذا الكتاب هو الذب عن كتاب الله، والرد على الطاعنين فيه ممن اتهموه بالخلل في النظم والإعراب، فوقف عند القضايا المشكلة دافعا التهم الواحدة تلوى الأخرى لإثبات تفوقه وبراعته، ويحدثنا ابن قتيبة عن دواع تأليف هذا الكتاب فيقول: "وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا، واتَّبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوا عن سبله ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة،

واللحن، وفساد النظم، والاختلاف، وأدلوا في ذلك بعللٍ، ربما أمالت الضعيف، والحدث الغر، واعترضت بالشبهة القلوب، وقدحت بالشكوك الصدور ... فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة والبراهين النيرة، وأكشف للناس ما يلبسون، فألفت هذا الكتاب جامعا لتأويل مشكل القرآن" (ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن-53).

بدأ ابن قتيبة كتابه بالحكاية عن الطاعنين، فسرد مطاعنهم على اختلاف أنواعها، ثم عقد أبواباً للرد عليهم في وجوه القراءات، وما ادعوه على القرآن من اللحن، وما نحلوه من التناقض والاختلاف بين آيه، وما قالوه في المتشابه، كما أجاب عن قولهم: ماذا أراد بإنزال المتشابه في القرآن من أراد لعباده الهدى والبيان، ثم ذكر أبواب المجاز؛ لأن أكثر المتأولين كان من جهته، وبسببه تشعبت الطرق، واختلفت النحل، وطريقته في إيراد أبواب المجاز أنه يذكر ما أتى منها في كتاب الله، يعقبه بأمثلة من الشعر ولغات العرب، وقد بدأ بباب الاستعارة، ثم باب المقلوب، وباب الحذف والاختصار، وباب تكرار الكلام والزيادة فيه، وباب الكناية والتعريض، وباب مخالفة ظاهر اللفظ معناه، ثم ذكر باب تأويل الحروف التي ادعي على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم، فتحدث عن الحروف المقطعة، واختلاف المفسرين فيها، ثم انتقل بالحديث على مشكل سور القرآن، فيذكر ما في السورة ثم يؤوله، ولكنه لم يرتب السور وفق ترتيبها في المصحف، بل ذكرها حسبما عنّ له من مشاكلها، وبعد أن فرغ من تأويله لمشكل السور التي ذكرها عقد بابا عظيم القدر، بالغ الأهمية، وهو باب الواحد للمعاني المختلفة تحدث فيه عن نيف وأربعين لفظاً من الألفاظ التي جاءت في القرآن الكريم متحدة المباني مختلفة المعاني كالقضاء والبلاء والأمة والصلاة ... إلخ (ينظر ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن 56)

ثم خصص باباً لحروف المعاني وما شاكلها من الأفعال التي لا تتصرف نحو: كأين، وكيف وسِوى، وسُوى، وأيان، والآن، ثم ختم كتابه بباب دخول بعض حروف الصفات مكان بعضها

المطلب الثاني: السياق وانواعه وأهميته

أولاً: التعريف بالسياق

قال ابن فارس –رحمه الله تعالى–: "سوق السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشَّيء يقال: ساقه يسوقه سَوقاً. والسَّيِّقة: ما استيق من الدوابّ. ويقال سقتُ إلى امرأتي صَدَاقها وأَسَقْتُهُ، والسُّوق مشتقّةٌ من هذا، لما يُساق إليها من كلِّ شيء، والجمع أسواق. والساق للإنسان وغيره، والجمع سُوق، إنّما سمّيت بذلك لأنَّ الماشي ينْساق عليها. ويقال: امرأة سَوْقاء ورجلٌ أَسوَق، إذا كان عظيمَ السّاق. والمصدر السَّوَق... وسُوق الحرب: حَومة القِتال" (ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة سوق 3/ 117)، وجاء في لسان العرب "والمساوقة المتابعة، كأن بعضها يسوق بعضا. وعن الأصمعي: السيَّق من السحاب ما طردته الريح. وفي صفة مشيه عليه السلام: كان يسوق أصحابه أي يتقدمهم ويمشي خلفهم تواضعا. وعن ابن السكيت يقال ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة، أي بعضهم إثر بعض ... قال أبو منصور: السوقة بمنزلة الرعية التي يسوسها الملك، سُموا سوقة لأن الملوك يسوقونهم فينساقون لهم" **(لسان العرب– ابن منظور مادة سوق)**، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام ساقه إلى كذا وجئتك بالحديث على سوقه أي: على سرده (ينظر الزمخشري –أساس البلاغة مادة سوق 456)، وإليك يساق الحديث: يوجه وعلى ذلك، فسياق الكلام هو تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه (أنيس المعجم الوسيط 1/ 646)، فمادة السياق لغة تدور حول معنى التتابع والاتصال والإطلاق وتراسله في نسق.

أما السياق في الاصطلاح فهو "تلك الأجزاء التي تسبق النص أو تليه مباشرة، ويتخلل من خلالها المعنى المقصود" (معجم مصطلحات الأدب 288) فكلمة السياق تدل على الإطار الذي يجري فيه التفاهم، ويشمل زمن الكلام والمفاهيم المشتركة والكلام السابق للمحادثة، الذي يؤدي إلى ترابط أجزاء

الكلمات أو الجمل أو اتصالها أو تتابعها، وما توحي به من معنى وهي مجتمعة (ينظر العزاوي وآخرون الدلالة والمعنى دراسة تطبيقية112- 113)، ويرى تمام حسان أن مفهوم مصطلح السياق هو توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك وهو ما يسمى بسياق النص، وتوالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي، وكانت ذات علاقة بالاتصال، وهو ما يسمى بسياق الموقف (تمام حسان مقالات في اللغة والأدب/ 65)، ومن ثم فأن السياق اصطلاحا هو سرد النص وتتابعه في نسق ما مع ما يصاحب أداؤه من أحداث.

وقد أدرك علماؤنا المتقدمون السياق وأهميته، إذ هنالك إشارات جلية حفلت بها مؤلفاتهم وأسفارهم، فهذا الإمام الشافعي –رحمه الله تعالى– في القرن الثاني الهجري يبوَّب بابا يسمه "بالصنف الذي يبين سياقه معناه "ثم يسوق الأمثلة لهذا الباب في بيان دلالة السياق على المعنى، وكذلك أشار أبو عبيدة إلى الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته موضحا سياقها الدلالي الصحيح عن طريق تفسير الكلمة اللغوية التي تحتاج إلى تفسير بقرائن سياقية (أبو عبيدة مجاز القرآن 1/ 19)، وكذلك كان ابن الأنباري المتوفى 327 هجرية يحتكم إلى السياق يتضح ذلك جليا في قوله "إن كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه" (الأضداد ابن الأنباري 2)، وغير هؤلاء كثر نجد في مؤلفاتهم أن فكرة السياق كانت إشاراتها حاضرة في رؤاهم. (كنوشي عواطف الدلالة السياقية 110)

ثانياً: أنواع السياق

اختلف اللغويون المحدثون في تحديد أنواع السياق وتقسيماته الكثيرة، وبشكل عام فإن السياق ينقسم على قسمين: سياق لغوي وسياق غير لغوي.

أ1- السياق اللغوي

وهو النص الذي تذكر فيه الكلمة، وما يشتمل عليه من عناصر لغوية مختلفة تفيد الكشف عن المعنى الوظيفي لهذه الكلمة، أي تشمل النظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم ومهمته النظر إلى طريقة ترتيب العناصر اللغوية داخل التركيب، وما يترتب على ذلك من دلالات، وهو يشرف على تغيير دلالة الكلمة تبعا للتغيير الذي يمس التركيب اللغوي

ويكون الأثر الأساسي للسياق اللغوي هو تحديد قيمة الكلمة، ودلالتها في النظم من خلال انتظام المفردة داخل نظام الجملة، وعلاقتها بما قبلها أو بعدها، فالسياق اللغوي هو الأرض الخصبة التي تبذر فيه المباني اللفظية بنوعيها: الوظيفية والمعجمية (الطلحي دلالة السياق 206) والسياق اللغوي يشمل السياق الصوتي، والسياق الصرفي، والسياق النحوي، السياق المعجمي والسياق التعبيري.

2 – السياق غير اللغوي

ويعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة فتتغير دلالتها تبعا لتغير الموقف أو المقام، وقد أطلق عليه اللغويون مصطلح ((الدلالة المقامية)) (ينظر بالمر علم الدلالة إطار جديد 69)، ويلجأ إلى هذا النوع عندما تكون بعض النصوص والعبارات غامضة بحيث لا يفهم من السياق سيئا؛ لذا يلجأ المتلقي إلى السياق غير اللغوي، ويشمل سياق المقام، والسياق الاجتماعي، وسياق الحال وسياق الموقف.

ثالثًا – أهمية السياق

إن للسياق أهمية كبرى في تحديد دلالة المفردة والوقوف على معانيها، وذلك من خلال السياقات التي انتظمت في سلكها، فالسياق يشكل قرينة تكشف عن الوجه المراد من المفردة، وتثبيت دلالة واحدة مقصودة كما يعمل أداة تعريفية بدقة الفارق المعنوي بين المفردات المتناظرة من حيث الدلالة خاصة إن

مفردات اللغة العربية واسعة الدلالة، فلا يتحدد المراد من المفردة العربية إلا إذا نظر إليها في ضوء سياقها، فحينئذ تتضح معالمها، وينتفي تعدد المعاني واشتراكه وتعميمه، ويقطع بإرادة أحد معانيها المحتملة (الغويل السياق وأثره في المعنى 63) (كنوش الدلالة السياقية عند اللغويين 221)، فلدلالة السياق القرآني أهمية بالغة في تفسير كلام الله –سبحانه وتعالى– فهي أصل من أصول هذا العلم، وبإهمالها يضع المفسر قدمه على عتبات الزلل، ويركب مركب الخلل، وتوسم آراؤه بالعلل، كما يسهم السياق في الترجيح عند الاختلاف سواء في المفردة أو في القراءات القرآنية، ويعين على تحديد أسلوب الكلام ورحم الله الزركشي في تبيانه لأهمية السياق حيث قال: "دلالة السياق، فإنها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته" (الزركشي البرهان في علوم القرآن 218/2)

المطلب الثالث: السياق اللغوي وأثره في دلالة المفردة

من الأبواب التي اشتمل عليها كتاب تأويل مشكل القرآن باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة أي بأن تكون للمفردة القرآنية أكثر من معنى، في حين يرى ابن قتيبة أن المعاني المختلفة والمتعددة ترتبط بالمعنى الأصلي: "أصل هدى: رشد كقوله تعالى: ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (القصص: 22)... ثم يصير الإرشاد بمعانٍ كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ (فصلت: 17) أي بينا لهم ... ومنها إرشاد بالدعاء كقوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد: 7) أي: نبي يدعوهم" (ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن 414)، ولا شك أن ابن قتيبة كان يدرك أن تعدد دلالة المفردة القرآنية مرده إلى السياق اللغوي، وإن لم يصرح به مصطلحاً، ولم يبينه تنظيراً، فكأنه لوضوحه لم يحتج تبيانا ولجلائه لم يطلب بيانا، وقد تناول ابن قتيبة نيف وأربعين مفردة مبينا دلالاتها المتعددة والمتنوعة وفق ما يقتضيه السياق القرآني الذي

انتظمت فيه، وقد ارتأيت تناول بعض المفردات القرآنية التي أوردها محللا إياها تحليلا دلاليا يعكس أثر السياق في تنوع دلالة المفردة القرآنية بالاعتماد تدبر على سياق الآية سواء السابق لها أو اللاحق أو تدبر سياقاتها في القرآن الكريم ، كما أن أسباب النزول والمقاصد العامة للسورة تشكل معالم يمكن الاتكاء عليها في تحديد دلالة المفردة القرآنية .

أولا– الأمة

لفظة الأمة وردت في مواضع وسياقات قرآنية كثيرة تعددت تبعا لاختلاف السياقات ودلالاتها والذي يحدد دلالتها ملاحظة ما قبلها وما بعدها، وعليه فالسياق كفيل بتحديد دلالة هذه اللفظة التي تعددت دلالاتها عند ابن قتيبة على النحو الآتي (ينظر ابن قتيبة تأويل مشكل 415)

الأمة الصنف من الناس والجماعة كقوله عز وجل: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً** فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ (البقرة: 213) أي: كانوا جماعةً واحدة في ضلال، كما ذهب ابن قتيبة وبعض المفسرين، والذين خالفوهم متفقون معهم بأنهم أمة واحدة أو جماعة واحدة، لكنهم كانوا على هداية قال ابن كثير " قال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا أبو داود، أخبرنا هَمَّام، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين. قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ ... روى أبو جعفر الرازي، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب: أنه كان يقرؤها: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً** فَاخْتَلَفُوا فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ (ابن كثير تفسير القرآن العظيم 1/ 569)، ووردت بهذا المعنى في سياقات قرآنية كقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ (القصص: 23) وجد عليه جماعة من الناس يسقون مواشيهم.

الأمة بمعنى الحين أو المدة الزمنية كقوله تعالى: ﴿**وادكر بَعْدَ أُمَّةٍ**﴾ (يوسف: 45) أي بعد حين وزمان، وما يؤكد هذا المعنى السياق السابق لهذه الآية قال تعالى: ﴿وقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا **وَادَّكَرَ بَعْدَ**

أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ (يوسف: 45) فكلمة بعد أمة أي: بعد مدة سميت بالمدة لأنها تمضي فيها أمة من الناس وتحدث فيها أخرى فهي على هذه المدة الطويلة. (ينظر المحرر الوجيز 3/ 401)، وقد ذهب بعض المفسرين أن بعد أمة أي بعد نسيان (ينظر معجم مفردات ألفاظ القرآنر الأصبهاني 23)، لكن يتآزر السياق القرآني في تأكيد هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ **إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ** لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ (سورة فصلت: 8) "لئن أخرنا العذاب عن هؤلاء المشركين إلى أجل معدود وأمد محصور، وأوعدناهم به إلى مدة مضروبة، ليقولن تكذيبا واستعجالا {مَا يَحْبِسُهُ} أي: يؤخر هذا العذاب" (ابن كثير تفسير القرآن 4/ 308)

الأمة الإمام الرباني والرجل الجامع لخصال الخير ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً** قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً﴾ (النحل: 12) أي: إمام مقتدى به، قال ابن مسعود: "الأُمة: معلّم الناس الخيرَ»، أو أمة وحده، اجتمع فيه ما افترق في غيره، فكان وحده أمة من الأمم؛ لكماله واستجماعه لخصال الكمال التي لا تكاد تجتمع إلا في أشخاص كثيرة ، يعلم الناس الخير (ينظر البحر المحيط أبو حيان 3/ 307) وما يؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً**﴾ (البقرة: 125)

وقد تكون الأمة جماعة العلماء كقوله –عز وجل–: ﴿**وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخير**﴾ (آل عمران: 104)، أي: يعلمون (ابن قتيبة تأويل415)، أَمْرَ اللَّه سبحانه الأمَّةَ؛ بأنْ يكونَ منْها علماءُ يَفْعَلُونَ هذه الأفعالَ على وجوهها، ويحْفَظُونَ قوانينَها، ويكون سائِرُ الأمَّة مُتَّبِعِينَ لأولئك إذ هذه الأفعالُ لا تكُونُ إلاَّ بعلْمٍ واسعٍ، وقد عَلِمَ اللَّه سبحانه، أنَّ الكُلَّ لا يكُونونَ علماء فمِنْ هنا: للتبعيضِ (ينظر الثعالبي الجواهر الحسان في تفسير القرآن 1/ 233)

والأمة بمعنى الدين، قال تعالى: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَآ آبَآءَنَا عَلَى أُمَّةٍ**﴾ (الزخرف: 22) أي: على دين

(ينظر ابن قتيبة 415) أي: أنهم ساروا على دين آبائهم واقتفوا أثرهم، والسياق القرآني لهذه الآية يؤكد هذا المعنى بقوله –عز وجل–: ﴿بلْ قَالُواْ **إِنَّا وَجَدْنَآ آبَآءَنَا عَلَى أُمَّةٍ** وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَآ **إِنَّا وَجَدْنَآ آبَآءَنَا عَلَى أُمَّةٍ** وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَآءَكُمْ قَالُواْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُون﴾ (سورة الزخرف 22–24) الأمة هنا بمعنى الملة والدين (ينظر ابن عاشور التحرير والتنوير 25/ 233).

ثانياً– الحرج

أصله اللغوي الضيق غير أن السياق القرآني منحها دلالات متنوعة ومعاني متعددة اختلفت عن معناها الأصلي، فهي بمعنى الشك كما في قوله تعالى: ﴿**فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ**﴾ (الأعراف: 2)، أي: شك (ينظر ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن 440)؛ لأن الشاك في الشيء يضيق صدراً به قال تعالى: ﴿مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ **ضَيِّقاً حَرَجاً** كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الأنعام: 125) أي: شديد الضيق، فالشك يولد في الصدر ضيقا وحرجا، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة (أبي ربيعة 101).

فخرجت خوف يمينها فتبسمت فعلمت أن يمينها لم تحرج

وقول العرجي: "السريع" (البغدادي الخزانة 355)

عوجي علينا ربة الهودج إنك إلا تفعلي تحرجي

والمراد بالإحراج في البيتين: الإدخال في الحرج. بمعنى الضيق كما ذكرنا. (ينظر الشنقيطي أضواء البيان على إيضاح القرآن بالقرآن 2/ 4)

فالحرج بالفتح المصدر كالصلب والحلب ومعناه ذا حرج، والحرج بالكسر الاسم وهو أشد الضيق، يعني كون قلبه ضيقاً لا يدخله الإيمان (ينظر النيسابوري الكشف والبيان 4/ 188)

ويرد بمعنى الإثم (ينظر ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن 450) كقوله تعالى: ﴿**لَّيْسَ عَلَى الأعمى حَرَجٌ**﴾ (النور:61)، اختلف العلماء في تأويل ﴿**لَّيْسَ عَلَى الأعمى حَرَجٌ**﴾ وحكمها "فقال ابن عباس: لمّا أنزل الله سبحانه وتعالى قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ تحرّج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمي والعرج وقالوا : الطعام أفضل الأموال، وقد نهانا الله سبحانه عن أكل المال بالباطل، والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيّب، والأعرج لا يستطيع المزاحمة على الطعام، والمريض لا يستوفي الطعام، فأنزل الله سبحانه هذه الآية، وعلى هذا التأويل يكون على بمعنى في، يعني ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض حرج" (النيسابوري الكشف والبيان 7/ 118)، ويتآزر السياق القرآني في تأكيد المعنى في قوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى **الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ**﴾ أَي: ليس على الضعفاءِ –كالشيوخ والنساءِ والصبيان– ولا على الذين طرأَ عليهم المرض أَو بهم مرض ملازم –كالعمى والعرج– ولا على الذين لا يجدون ما ينفقونه في شراءِ أُهبة السفر وعدة الجهاد، ليس على هؤلاءِ جميعا إِثم ولا عتاب في التخلف.

الحرج بمعنى الضيق بعينه في قوله تعالى: ﴿**وَما جَعَلَ عَلَيْكُم في الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ (الحج: 78) أي: ضيق، ويعزز ذلك قوله تعالى: ﴿**يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً**﴾ (الأنعام: 125) وحرجا منه الحرجة وهي الشجرة الملتف (ينظر: تأويل مشكل القرآن ابن قتيبة 440)، وسياق النص القرآني يؤكد هذا المعنى ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ** حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (النساء: 65) أي: أن قضاءك بينهم لم يؤدِ إلى ضيق قلوبهم أو حرجهم، ومنه قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ

مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: 6)، ولما كان التيمم قد سن تسهيلا على الأمة وتيسيرا لها، ودفعاً للضرر الذي قد يصيب ذوي الأعذار باستعمالهم الماء في حالة الوضوء فأن كلمة حرج الواردة لا تدل إلا على رفع الضيق والحرج .

ثالثا- الصاعقة والصعق

الصاعقة والصعق من المفردات التي تتعدد مفرداتها فترد بمعنى الموت، وترد بمعنى العذاب، وقد تجيء بمعنى النار الساقطة من السحاب (ينظر: الأصفهاني معجم مفردات ألفاظ القرآن 315)، ولا يظهر المعنى المراد إلا من خلال السياق: **ترد بمعنى الموت** (ينظر: ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن 455) قال تعالى: ﴿**فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ**﴾ (الزمر 68) فسياق الآية اللاحق يبين هذه الدلالة بوضوح قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ في الصور **فصعق من في السموات والأرض** إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ (الزمر: 68) فصعق بمعنى مات من شدة الفزع والهلع بدليل إحيائهم في النفخة فإذا هم قيام ينظرون، وتختلف صعق عن فزع في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (النمل: 87) قال العلامة الطيبي: "قال العلامة الطيبي الحق أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى الصور * فَفَزِعَ﴾ هو النفخة الأولى، وقوله تعالى الآتي: ﴿وَكُلٌّ﴾ إلخ إشارة إلى النفخة الثانية، واعلم أنهم اختلفوا في عدد النفخة فقيل: ثلاث: نفخة الصعق المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ في الصور فَصَعِقَ مَن في * السموات * وَمَن فِى الارض﴾ (الزمر: 68)، ونفخة البعث المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى الصور فَإِذَا هُم مّنَ الاجداث إلى رَبّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ (يس: 51) ونفخة الفزع المذكورة في الآية المذكورة ههنا، وهو اختيار ابن العربي. (الألوسي روح المعاني 20/ 31)

ومنه قوله -عز وجل-: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة 55)، والقرينة السياقية الدالة على ذلك قوله عقب الآية ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ والبعث لا يكون إلا بعد الموت.

وذهب ابن قتيبة إلى أن صعق في قوله تعالى: ﴿**وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً**﴾ (الأعراف: 132) بمعنى مات (ينظر: ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن 412)، وإنما المراد به الإغماء، وقد أرشد إلى هذا السياق قوله سبحانه بعدها ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: 143)، والإفاقة لا تكون بعد الموت الذي لا يكون إلا بعد بعث قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾.

والصاعقة العذاب (ينظر: ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن 412) مستدلاً بقوله تعالى: ﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (فصلت: 13)، وقد جاءت الآيات في سياق الوعيد قال تعالى: ﴿إِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (13) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (14) فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (15) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ (16) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (17) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (18)﴾ (فصلت: 13-18)، وما يؤكد المعنى قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ المراد بالصواعق هنا العذاب من شدّة الظلمة، وشدّة صوت الرعد، وشدّة لمعان البرق، إذ كلّ واحد منها هائل، وقد حذرهم وخوفهم صاعقة تصعقهم وتهلكهم كصاعقة عاد قوم هود، وثمود قوم صالح، وخص هؤلاء بالذكر لأن قريشا كانت تعلم أحوالهم، وتعرف بلادهم في اليمن والحِجْر، مصداق ذلك قوله -تعالى-: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ﴾ سورة العنكبوت 38. (ينظر: التفسير البسيط مجمع البحوث 8/ 688)

رابعاً- الصلاة

أصلها الدعاء، وسميت صلاة لما فيها من دعاء، ومنها صلاة الجنازة لأنها دعاء لا سجود ولا ركوع فيه، ووردت لفظة الصلاة في سياق النص القرآني الكريم مؤدية معاني متعددة وذلك على النحو الآتي:

الدعاء قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ (التوبة 103) أي: ادع لهم، إن ذلك مما يسكنهم وتطمئن إليه قلوبهم، ومنها قوله تعالى: ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ (التوبة 99)، يعني دعاؤه (ينظر: ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن 426)، جاء في تفسير الطبري "قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-: يا محمد، خذ من أموال هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم فتابوا منها (صدقة تطهرهم)، من دنس ذنوبهم وتزكيهم بها... وتنمّيهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها، إلى منازل أهل الإخلاص (وصل عليهم)، يقول: وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم، واستغفر لهم منها (إن صلاتك سكن لهم)، يقول: إن دعاءك واستغفارك طمأنينة لهم، بأن الله قد عفا عنهم وقبل توبتهم (الطبري جامع البيان في تأويل القرآن 14/ 454)، ويتأكد المعنى وثوقا وجلاءً من خلال أسباب النزول لهذه الآية الكريمة، جاء في تفسير البحر المحيط قوله: "﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (التوبة: 99) مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ إَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ نزلت في بني مقرن من مزينة قاله مجاهد ... وقال عبد الرحمن بن مغفل بن مقرن: كنا عشرة ولد مقرن فنزلت: ومن الأعراب من يؤمن الآية يريد: الستة والسبعة الإخوة على الخلاف في عددهم وبنيهم ... ولما ذكر تعالى من يتخذ ما ينفق مغرماً ذكر مقابله وهو من يتخذ ما ينفق مغنما، وذكر هنا الأصل الذي يترتب عليه إنفاق المال في القربات وهو الإيمان بالله و اليوم الآخر، إذ جزاء ما ينفق إنما يظهر ثوابه الدائم في

الآخرة (البحر المحيط أبو حيان 5/ 95)

كما تعني الصلاة من الله الرحمة والمغفرة قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ (الأحزاب: 56)، فصلاة الله والملائكة على الرسول عليه الصلاة والسلام الدعاء له بالرحمة والمغفرة وسياق أسباب نزول الآية يؤكد ذلك، "عن أنس لما نزل قوله تعالى: ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي**﴾ (الأحزاب: 56)، وقال أبو بكر –رضي الله عنه–: يا رسول الله ما أنزل الله تعالى عليك خيرا إلا أشركنا فيه، أنزل الله تعالى: ﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ أي يرحمكم {وملائكته} أي: يستغفرون لكم، فالصلاة من الله تعالى رحمة، ومن الملائكة استغفار للمؤمنين" (الشربيني تفسير السراج المنير 3/ 216)، ومنه قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ** لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ لأن صلاته عليهم وصلاة الملائكة وإخراجه إياهم من الظلمات الى النور رحمة بهم في الدنيا. (ينظر الشنقيطي أضواء البيان على إيضاح القرآن بالقرآن 1/ 6)

كما ترد الصلاة بمعنى الدين وذلك في قوله تعالى: ﴿**أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**﴾ (هود: 87) بمعنى الدين والقراءة (ينظر تأويل مشكل القرآن ابن قتيبة 426)، فلفظ الصلاة يعني الدين والإيمان لأن الصلاة شعار الدين، فجعلوا ذكر الصلاة كناية عن الدين. (ينظر الرازي تفسير الفخر الرازي– 2469) ومنهم من يرى أن الصلاة العبادة المعروفة، حيث كان النبي شعيب –عليه السلام– كثير الصلوات، وكان قومه يقولون له ما تستفيد بهذا فكان يقول: إنها تأمر بالمحاسن، وتنهى عن القبائح، فقالوا على وجه الاستهزاء أصلواتك تأمرك أن تأمرنا بترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا أو أن نترك التبسط في أموالنا ما نشاء. (ينظر النسفي تفسير النسفي 2/ 170)، فالدعاء بالرحمة والمغفرة والدين كلها تنتمي إلى حقل دلالي واحد هو الصلاة، وقد آثر النص القرآني الكريم مفردة الصلاة لما تكتنف مفردة الصلاة ومشتقاتها من إشراقات الرحمة والسكينة والطمأنينة وهي دلالات لا تؤديها مفردات الدعاء،

وهكذا ألبس السياق القرآني لفظة الصلاة معاني سياقية باذخة بالثراء والدقة والجمال.

خامساً – الضرب

تتعدد دلالات هذه اللفظة حتى ذهب بعضهم إلى أنها من المشترك اللفظي، مع أن الأصل في هذه اللفظة هو طرق شيء بشي، قال الراغب الأصبهاني: "أن الضرب إيقاع شيء على شيء كضرب الشيء باليد والعصا والسيف ونحوها" (الأصبهاني معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم 59)، وقد أورد لها ابن قتيبة ثلاثة معاني (ينظر ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن 451)

الضرب باليد كقوله تعالى: ﴿**فَضَرْبَ الرِّقَابِ**﴾ (محمد: 24)، وقوله تعالى: ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ **وَاضْرِبُوهُنَّ**﴾ (النساء: 34)، ففي قوله تعالى: ﴿فضرب الرقاب﴾ هو ضرب عام قوي قد يكون بالسيوف والرماح والعصي أو غير ذلك من الضرب المبرح الذي يفضي إلى الإيجاع ذلك ما يؤكده السياق بقوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا **فَضَرْبَ الرِّقَابِ** حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾" وقوله: ﴿حتى إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ هذه غاية للأمر بضرْب الرِّقاب... والمعنى حتى إذا أثْخَنْتُمُوهُمْ أي: بالَغْتُم في القتل وقَهَرْتُمُوهُمْ فشدّوا الوثاق يعني في الأسر حتى لا يَفْلِتوا والأسر يكون بعد المبالغة في القتل كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أسرى حتى يُثْخِنَ فِي الأرض﴾" (الأنفال: 67) (الحنبلي اللباب في علوم الكتاب 2/ 40) ﴿فضرب الرقاب﴾ يعني فاضربوا رقابهم ضربا...إنما خص الرقاب بالضرب؛ لأن قتل الإنسان أشنع ما يكون بضرب رقبته؛ فلذلك خصت بالذكر في الأمر بالقتل؛ ولأن الرأس من أشرف أعضاء البدن فإذا أبين عن بدنه كان أسرع إلى الموت والهلاك بخلاف غيره من الأعضاء (ينظر الخازن تفسير التأويل في معاني التنزيل418/5)، أما قوله تعالى: ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ (النساء: 34) فالضرب هنا العقاب، وذلك أنها وردت في سياق العقاب على نشوزهن، وقد أخرج الترمذي وصححه، والنسائي، وابن ماجه، عن عمرو بن الأحوص "أنه شهد خطبة الوداع مع رسول الله –صلى

الله عليه وسلم-، وفيها أنه قال النبي -صلى الله عليه وسلم- «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هنّ عوان عندكم ليس تملكون منهنّ شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن، فاهجروهنّ في المضاجع **واضربوهنّ ضربا غير مبرح** ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾" (فتح القدير الشوكاني 2/ 138) (الترمذي سنن الترمذي 6/5)

والضرب بمعنى المسير (ينظر: ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن 451) قال الله تعالى: ﴿**إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ** فَتَبَيَّنُواْ﴾ (النساء: 94) والسياق القرآني باعتباره نصا متماسكا مترابطا يؤكد ذلك بقوله تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (النساء: 101) هذا السفر المباح لقصر الصلاة، ويرشح هذا المعنى استعماله للحرف (في) بدل على فإن الحرف في يدل على عمق وابتعاد في الأرض والغور فيها، لا كما يدل الحرف على "وهذه الدلالة ناتجة من تفاعل معنوي الضرب بما فيه من قوة تحدث أثرا مع دلالة حرف الظرفية على التعمق والتغلغل في الشيء" (ينظر: داود محمد محمد القرآن وتفاعل المعنى 1/ 260) ومن دلالة الحرف (في) يتبين رجحان دلالة ضرب على المسير والسفر والخروج في سبيل الله.

الضرب بمعنى التبيين والوصف، أي ضرب المثل ونصبه للعبرة أي أبانه: ﴿**ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً** عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ على شَيْءٍ﴾ (النحل: 75)، هذا مثل الكافر رزقه الله مالاً فلم يقدم فيه خيرا ومنه قوله تعالى: ﴿**فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ**﴾ (النحل: 74) نهى الله -جل وعلا- في هذه الآية الكريمة خلقه أن يضربوا له الأمثال؛ أي: يجعلوا له أشباها ونظراء من خلقه، سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

وقد ضرب ابن قتيبة صفحا عن ذكر دلالات سياقية أخرى تفيدها لفظة ضرب مثل أنام كما في قوله تعالى: ﴿**فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**﴾ (الكهف: 11) أي: أنمناهم نومة طويلة، وضرب له سهما أي جعل له سهما.

سادساً- الفتنة

وردت لفظة الفتنة عند اللغويين والمفسرين بمعان متعددة بحسب ما يقتضيه السياق في الكلام جاء في لسان العرب معنى الفتنة "الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذة من قولك فتنت الفضة والذهب إذا أذهبتها بالنار لتميز الرديء من الجيد" (ابن منظور مادة فتن)، ويرى الفيروز آبادي أن الفتنة تعني الضلال والإثم والكفر والفضيحة والعقاب والجنون والمحنة والمال والأولاد واختلاف الناس (ينظر الفيروز آبادي مادة فتن)، كما يورد لها الزجاجي معاني عدة منها الابتلاء والاختبار والكفر والعذاب (ينظر الزجاجي مادة فتن)، من هذه المعاني يتضح أن الفتنة جاءت بدلالات متعددة وبمعان متنوعة ما يدخلها في المشترك اللفظي، وعند تدبر لفظة الفتنة التي في القرآن الكريم في سياقات مختلفة نلفى لها دلالات ومعاني واسعة، من هذه المعاني التي أوردها ابن قتيبة هي: (ينظر ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن 433)

الفتنة الاختبار والابتلاء كقوله -عز وجل-: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ (العنكبوت: 1) "اختبرنا الذين كانوا من قبل هذه الأمة وابتليناهم ببلايا ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ الله الذين صَدَقُواْ﴾ يعني: إنما يبتليهم ليبين الذين صدقوا من المؤمنين في إيمانهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذبين﴾ منهم فشكوا عند البلاء. ويقال: معناه ليبين صدق الصادق، وكذب الكاذب بوقوع صدقه، ووقوع كذبه. وقال القتبي: يعني: ليميزن الله الذين صدقوا، ويميز الكاذبين" (السمرقندي بحر العلوم 3/ 335)، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً**﴾ (طه: 40)، أي: "اختبرناك اختبارا حتى صلحت للرسالة، وقال قتادة: بلوناك بلاء. وقال مجاهد أخلصناك إخلاصا. وقال ابن عباس: اختبرناك بأشياء قبل الرسالة" (القرطبي الجامع لأحكام القرآن 198/11).

الفتنة العذاب قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ (البروج 10) أي: عذبوهم، والسياق القرآني في سورة البروج يبين في جلاء دلالة هذه اللفظة بمعني الحرق الذي هو أشد أنواع

التعذيب قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (3) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (سورة البروج 1-10)

الفتنة الصد والاستزلال كقوله تعالى: ﴿**واحذرهم أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ** مَآ أَنزَلَ الله إِلَيْكَ﴾ (المائدة: 49) أي: يصدوك ويستزلوك، والسياق القرآني وأسباب النزول ترفد هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ وَأَنِ احكم بَيْنَهُمْ بِمَآ أَنزَلَ الله وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ **واحذرهم أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ** مَآ أَنزَلَ الله إِلَيْكَ﴾ "أخرج ابن جرير عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال كعب بن أسد وابن صوريا وشاس بن قيس بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه: فأتوه فقالوا: يا محمد، إنك قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وسادتهم، وإنا إن اتبعناك اتبعك يهود ولم يخالفونا. وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فتقضى لنا عليهم، ونؤمن لك ونصدق فأبى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ذلك" (الطنطاوي التفسير الوسيط 1290)، وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ** عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ (الإسراء 73) أي: أن الكفار كادوا يفتنونه، أي: قاربوا ذلك. ومعنى يفتنونك: يزلونك، وسبب النزول يعزز ذلك "عن ابن عباس في رواية عطاء: أنها نزلت في وفد ثقيف، أتوا النَّبي فسألوه شططا قالوا: متعنا بآلهتنا سنة حتى نأخذ ما يهدى لها، وحرم وادينا كما حرمت مكة، إلى غير ذلك من الأقوال في سبب نزولها" (الشنقيطي أضواء في إيضاح القرآن على القرآن 3/ 178)

الفتنة بمعنى الشرك والكفر والإثم كقوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾ (الأنفال: 39) أي: شرك بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ للَّهِ﴾ جاء في تفسير ابن كثير "وقال أبو العالية ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والضحاك، والربيع ابن أنس في قوله: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ**

الْقَتْلِ﴾ يقول: الشرك أشد من القتل" (ابن كثير تفسير القرآن العظيم 1/ 525).

وترد الفتنة بمعنى الكفر والإثم كقوله تعالى: ﴿**أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا**﴾ (التوبة: 49)، أي: في الإثم (ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن 434)، والفتنة في هذه الآية عامة فتشمل الكفر والشرك والإثم، والمعصية خاصة أن هذه الآية نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن جهاد الروم بحجتهم الرخيصة أن يفتتنوا بنساء الروم، ولكن بمقالتهم هذه سقطوا في المعصية والكفر والإثم (القرطبي الجامع لآيات الأحكام 8/ 159)

سابعاً – القضاء

أصل القضاء الفصل بتمام الأمر، وقد أكثر أئمة اللغة في معناه وآلت أقوالهم إلى أنه إتمام الشيء قولاً وفعلاً (الكفوي الكليات 593– 594)، وقد جاءت لفظة قضى في غير موضع من كتاب الله تعالى، وكان لها في كل موضع دلالة تغاير الدلالة الأخرى، وذلك بناء على مقتضى السياق اللفظي الواردة فيه هذه اللفظة، من ذلك قضى بمعنى حتم، كقوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ** وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ (الإسراء: 23) أي: أمر (ينظر: ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن 412) أمر أمرا مقطوعا ألا تعبدوا إلا إياه، فقرينة هذا المعنى هو أن الله تعالى غاية التعظيم، ولا تجوز العبادة إلا له، وهو نهي أفاد الأمر الحتمي بعبادته، وقرنه بالإحسان إلى الولدين إشارة إلى عظمة قيمة الوالدين وارتفاع منزلتهما؛ لذا كان ابن قتيبة دقيقا عندما وصفه بالأمر الحتمي، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ**﴾ (الإسراء: 4) فقضى تدل على الإعلام والإخبار (ينظر: ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن 412) أي: أعلمناهم وأخبرناهم لتفسدن في الأرض مرتين، ونظير ذلك في القرآن قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ والظّاهر أن تعديته بـ «إلى» لأنه مضمن معنى الإيحاء. وقيل: مضمن معنى: تقدمنا إليهم فأخبرناهم (ينظر الشنقيطي أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن 3/ 14).

وترد بمعنى صنع وقوله: ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ**﴾ (فصلت: 12) أي: صنعهن (ينظر: ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن 412) وقد آثر القرآن قضاهن الدالة على أنه قد فرغ من خلقهن وصنعهن وإيجادهن خلال يومين، قال تعالى: ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ** فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت: 12) ومنه قوله: ﴿**فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ**﴾ أي: فاصنع ما أنت صانع، وهي عبارة موجهة من السحرة الذين آمنوا بموسى –عليه السلام–، وتيقنوا أن ما جاء به موسى عليه السلام هو الحق لذا سلموا للأمر، وقالوا لفرعون فاقض ما أنت قاضٍ، واصنع ما أنت ما صانع، لن نتراجع عن موقفنا، ومثله قوله: ﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم أقضوا إليّ﴾ أي اعملوا ما أنتم عاملون ولا تنظرون "ومن الشواهد الشعرية الدالة على أن قضى بمعنى صنع" قال الشاعر: (ينظر: القرشي جمهرة أشعار العرب5) (الجوهري الصحاح 3/ 1034)

وعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتانِ قَضَاهُمَا داوُدُ أو صَنَعُ السَّوابِغِ تُبَّعُ

وقال الآخر في عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– (الجوهري الصحاح 1/ 57) (ابن منظور لسان العرب 2/ 217)

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها بوائج في أكمامها لم تفتق

أي أحكمت أمورا وصنعتها بصائب نظرك، وجميل رأيك وهذه كلها فروع ترجع إلى أصل واحد" (ينظر: ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن412–413).

ثامناً– المثل

لفظ (المثل) من الألفاظ التي تتعدد معانيه وتتنوع دلالاته، وذكر أهل اللغة أن المثل بمعنى الشبه، يقال : هذا مثل الشيء ومثله، كما يقال الشيء وشبهه (ابن منظور لسان العرب مادة مثل) المثل

في أصل كلام العرب بمعنى المثل والمثيل، كشبه وشبه وشبيه، كقوله تعالى : ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ** كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً﴾ (العنكبوت:41) (ينظر ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن 450)، فشبه الذين اتخذوا من دون الله أولياء عليهم يعتمدون ويتوكلون شبه العنكبوت في نسجها لبيتها الواهي الواهن، والنص القرآني يرد لفظة مثل بمعنى التشبيه في سياقات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً**﴾ (البقرة: 17) إنه شبه من آتاه الله تعالى ضربا من الهداية والمعاون فأضاعه، وكقوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ** ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾ (الجمعة 5)، "هذا مثل ضربه الله لليهود وهو أنه شبههم بحمار، وشبه التوراة التي كلفوا العمل بما فيها بأسفار أي: كتب جامعة للعلوم النافعة، وشبه تكليفهم بالتوراة بحمل ذلك الحمار لتلك الأسفار، فكما أن الحمار لا ينتفع بتلك العلوم النافعة التي في تلك الكتب المحمولة على ظهره، فكذلك اليهود لم ينتفعوا بما في التوراة من العلوم النافعة (ينظر أضواء البيان في إيضاح ارآن بالقرآن الشنقيطي /117).

المثل العبرة كقوله تعالى: ﴿فلما آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ، **فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ**﴾ (الزخرف:55-56) بمعنى العبرة (ينظر: ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن 450) ﴿فلما آسفونا﴾ "أي: أغضبونا بنكثهم وكفرهم وكبريائهم وظلمهم أغرقناهم أجمعين، أي: فلم نبق منهم أحدا، والمراد فرعون وجنوده ... جعلنا فرعون ومن أغرقنا معه من ملائه وجيوشيه سلفا أي: سابقين ليكونوا عبرة لمن بعدهم ومثلا يتمثل به من بعدهم، فلا يقدمون على ما أقدموا عليه من الكفر والظلم والعلو والفساد، وأولى من يعتبر بهذا قريش التي نزل لينبهها ويحرك كامن نفسها لتنتبه من غفلتها، وتوحد فتنجو، وتكمل وتسعد" (الجزائري أيسر التفاسير 29/4)، وكقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ (الزخرف: 59) أي: عبرة (ينظر: ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن 450) ويذهب المفسرون إلى أن معنى (مثلاً) عبرة لمن بعدهم." (ينظر: ابن كثير تفسير القرآن العظيم 233/7 – القرطبي الجامع لأحكام القرآن 16/ -104-

النيسابوري الكشف والبيان 341/8)

فلفظة المثل في هذه الآيات القرآنية لا تفيد التشبيه، وإنما أكسبها السياق معنى العبرة والموعظة والقرينة المانعة من إيراد المعنى المعجمي جعلناهم عبرة سابقة للذين بعده مر، وجعلنا عيسى عليه السلام عبرة لبني إسرائيل.

المثل الصفة والصورة كقوله تعالى: ﴿**مَّثَلُ الجنة التي وُعِدَ المتقون فِيهَآ أَنْهَارٌ**﴾ (محمد: 15) أي صفة الجنة (ينظر تأويل مشكل القرآن ابن قتيبة 450)، صفة الجنة التي وعدها الله المتقين: فيها أنهارٌ عظيمة من ماء غير متغيِّر، وأنهار من لبن لم يتغيَّر طعمه، وأنهار من خمر يتلذذ به الشاربون، وأنهار من عسل قد صُفِّي من القذى، ولهؤلاء المتقين في هذه الجنة جميع الثمرات من مختلف الفواكه وغيرها، فمثل الجنة التي أعدها الله لعباده، الذين اتقوا سخطه، واتبعوا رضوانه، أي: نعتها وصفتها الجميلة. (السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 786)، والسياق القرآني الذي يشكل نصا متماسكا يفسر بعضه بعضا في تناسق بديع عجيب يعزز هذه الدلالة السياقية بقوله –عز وجل–: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ (الفتح: 29) مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل أي صفتهم فيهما (ينظر المصري التبيان في تفسير غريب القرآن 384).

- **الخاتمة**

- يعد ابن قتيبة من العلماء الأفذاذ ومن الأعلام المبرزين في حقل التأليف المعرفي والتدريسي ومصنفاته العلمية المتعددة والمتنوعة في العقيدة والحديث النبوي والأدب واللغة والأخبار ما يعكس حجم موسوعيته المعرفية تضعه في مصاف العلماء الذين ينبغي أن تكون مؤلفاتهم مجالا خصبا للدراسة لاستخراج دررها وكنوزها الغنية معرفة وعلما.

- يعد كتابه تأويل مشكل القرآن من المؤلَّفات القيمة وثمرة طيبة من ثمار ذلك الدفاع القويم درءا عن كتاب الله العظيم فوجه سهام دفاعه حيال أولئك الطاعنين الذي اتبعوا (ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، فضلا عما ضم بين دفتيه من مادة لغوية وبلاغية تحليلية للنصوص القرآنية مبينا أسرار جمال بيانها ودقة ألفاظها وجلال الأسلوب القرآني.
- عقد ابن قتيبة رحمه الله تعالى في كتابه بابا أسماه (باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة تحدث فيه عن نيف وأربعين لفظة التي جاءت في القرآن الكريم متحدة المباني مختلفة المعاني وقد عرف تعدد دلالات المفردة الواحدة عند علمائنا الأوئل (علم الوجوه والنظائر) وعدوه من أنواع معجزات القرآن الكريم حيث تتصرف دلالات الكلمات إلى وجوه عدة قد تصل إلى العشرين وجهاَ.
- إن تعدد دلالات المفردة الواحدة أو تصرفها إلى وجوه عدة ما هو إلا مظهر للدلالة السياقية التي عرفها علماؤنا المتقدمون وظهرت جلية في توجيههم لتعدد المفردة، ولم ينظِّروا لظاهرة السياق باعتبارها واضحة جلية لا تحتاج إلى دراسات تنظيرية توضحها وتبينها، وكان ابن قتيبة يدرك أن تعدد وجوه المفردة القرنية مرجعه إلى السياق الذي يخلع على المفردات ظلالا من الدلالات والمعاني فضلا عن تحديده لدقة المفردة.
- من خلال تدبر المفردات التي تناولها ابن قتيبة تبين أن للسياق أهمية بالغة في تفسير كلام الله –سبحانه وتعالى–، ولا يتحدد المراد من المفردة إلا إذا نظر إليها في ضوء سياقها فحينئذ تتضح معالمها، وينتفي تعدد المعاني واشتراكه وتعميمه، ويقطع بإرادة أحد معانيها المحتملة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية قالون عن نافع

1. ابن أبي ربيعة ديوانه دار صادر بيروت 1966م.
2. ابن فارس أبو الحسن أحمد معجم مقاييس اللغة، تحقيق: هارون عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت.
3. ابن قتيبة، تأويل مشكل القران ابن قتيبة، تحقيق احمد صقر – مكتبة دار التراث 2006
4. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420هـ- 1999م.
5. ابن منظور، لسان العرب –دار صادر–بيروت– طبعة منقحة 2005.
6. أبو حيان، أثير الدين أبو عبد الله بن حيان الأندلسي البحر المحيط في التفسير، الناشر مكتبة الإيمان – بريده السعودية.
7. الأصفهاني الراغب معجم مفردات ألفاظ الق ضبط وتقديم إبراهيم شمس الدين منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية –بيروت– لبنان، الطبعة الأولى: 1997.
8. الألوسي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: دار إحياء التراث العربي – بيروت
9. الأنباري محمد بن القاسم الأضداد تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دائرة المطبوعات والنشر في الكويت ط أ 1960.
10. أنيس إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مطابع دار المعارف مصر ط2 1972/ 1973م.
11. بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة إبراهيم صبري السيد، دار المعرفة الجامعية–الإسكندرية 1995م.
12. البركاوي، عبد الفتاح عبد العليم، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، القاهرة–دار المنار، الطبعة الأولى: 1411هـ.
13. البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب –عبد القادر بن عمر البغدادي– تحقيق: عبد السلام محمد هارون –الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة– الطبعة الثانية – 1409هـ- 1989م.
14. الترمذي، لأبي عيسى مجمد بن عيسى (الجامع الصحيح) تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون طبع ونشر شركة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي.
15. تمام حسان مقالات في اللغة، عالم الكتب– القاهرة ط 1 2006.
16. التهانوي محمد كشاف اصطلاحات الفنون تحقيق عبد البديع لطفي مكتبة النهضة المصرية القاهرة
17. الثعالبي أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف جواهر الحسان في تفسير القرآن
18. الجزائري أبوبكر الجزائري أيسر التفاسير مصدر الكتاب: موقع التفاسير
19. الجوهري أبو نصر إسماعيل الصحاح دار أحياء التراث العربي بيروت لبنان ط أولى1419 هـ 1999م

20. حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون بيروت مكتبة المثنى
21. الخازن، علي بن محمد لباب، التأويل في علوم التنزيل، شركة مكتبة ومطبعة البابلي الحلبي وأولاده ط 2 1375هـ-1955م.
22. د. العزاوي عقيد خالد حمودي ود. عماد بن خليفة الدايمي الدلالة والمعنى دراسة تطبيقية دار العصماء سوريا الطبعة الأولى 1435هـ 2014م
23. داود محمد محمد القرآن وتفاعل المعاني دار غريب للطباعة والنشر القاهرة ط 2002م
24. الذهبي ميزان الاعتدال مطبعة الخانجي 1325هـ
25. الرازي فخر الدين التفسير الكبير – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثالثة
26. الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله البرهان في علوم القرآن خرجه وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
27. الزركلي خير الدين الأعلام دار العلم للملايين- بيروت الطبعة السادسة 1984
28. الزمخشري محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل تحقيق الشيخ عادل أحمد
29. السعدي عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تحقيق اللويحق عبد الرحمن بن معلا مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م
30. الشافعي، نصر الهوريني تقديم القاموس المحيط للفيروزآبادي، – دار الكتب العلمية – بيروت ط أولى 200
31. الشربيني محمد بن أحمد الخطيب، السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير
32. الشوكاني محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير تحقيق: سمير خالد رجب تحقيق دار إحياء التراث العربي بيروت –لبنان الطبعة الثانية 2001
33. الطبري، محمد بن جرير جامع البيان في وجوه تأويل القرآن تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى، 1420 هـ- 2000م
34. الطلحي ردة الله ابن ردة بن ضيف الله، دلالة السياق جامعة أم القرى ط 11424هـ
35. الطنطاوي: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط مصدر الكتاب: موقع التفاسير
36. الغويل المهدي إبراهيم السياق وأثره في المعنى دار الكتب الوطنية بنغازي ط 2011
37. الفيروز آبادي القاموس المحيط، قدّم وعلّق على حواشيه، الشيخ نصر الهوريني المصري الشافعي – دار الكتب العلمية– بيروت ط أولى .2004
38. القرشي أبي زيد جمهرة أشعار العرب طبعة بولاق مصر 1308هـ
39. القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري الجامع لأحكام القرآن مطبعة دار الكتب المصرية ط1 1976م
40. القفطي أبو الحسن علي بن يوسف إنباه تاروا على أنباء النحاة تحقيق محمد الفضل إبراهيم القاهر طبع ونشر دار الفكر العربي ط 1/ 1406هـ / 1986م.

41.الكفوي أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة ط2 1432هـ 2011م

42.كنوش عواطف المصطفى الدلالة السياقية عند اللغويين دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع لندن ط 1 2007

43.مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية تفسير الوسيط للقرآن الكريم الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ط 1 1393هـ 1973م

44.المصري شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم: التبيان في تفسير غريب القرآن تحقيق: د. فتحي أنور الدابولي الناشر: دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهر الطبعة الأولى، 1992

45.النيسابوري أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي الكشف والبيان . تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور دار النشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت– لبنان– 1422 هـ – 2002م

46.وهبة مجدي، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان–بيروت.